عرض الإسلام

إن كلمة عرض تبدو هنا بسيطة، لكنها في الحقيقة أصل عظيم من أصول الدعوة... وفي ذي القعدة سنة عشر من النبوة ـ في أواخر يونيو أوائل يوليو سنة ٦١٩ م ـ عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليستأنف عرض الإسلام على القبائل والأفراد، ولاقتراب الموسم كان الناس يأتون إلى مكة رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، لقضاء فريضة الحج وليشهدوا منافع لهم، ويذكروا الله في أيام معلومات، فانتهز رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الفرصة، فأتاهم قبيلة قبيلة، يعرض عليهم الإسلام، ويدعوهم إليه، كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

وقال الزهري وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة، وفزارة، وغسان، ومرة، وحنيفة، وسليم، وعبس، وبنو نصر، وبنو البكاء، وكندة، والحارث بن كعب، وعذرة، والحضارمة، فلم يستجب منهم أحد[٢١].

وقد ذكر ابن اسحاق كيفية العرض وردودهم:

١ ـ بنو كلب ـ أتى النبي صلى الله عليه وسلم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه يقول لهم: يا بني عبد الله، إن الله قد أحسن اسم أبيكم، فلم

٢١ ـ الرحيق ص١٤٧

يقبلوا منه ما عرض عليهم.

٢ ـ بنو حنيفة ـ أتاهم في منزلهم فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم.

٣ ـ وأتى إلى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال بحيرة بن فراس (رجل منهم): والله لو إني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. فقال له أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه.

ولما رجعت بنو عامر تحدثوا إلى شيخ لهم لم يواف الموسم لكبر سنه، وقالوا له: «جاءنا فتى من قريش من بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا. فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم؟»[٢٢].

وكما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام على القبائل فقد كان يعرضه على الأفراد أيضاً، ومن هؤلاء سويد بن الصامت، وإياس بن معاذ، وأبو ذر الغفاري والطفيل بن عمرو الدوسي، وضماد الأسدي وغيرهم.. وكان عليه الصلاة والسلام شبيهاً بتاجر يلاحق ببضاعته من يرجو أن يقف ساعة ليتأملها، حتى إذا لم يشتر، فالمُهمّ أن

٢٢ ـ الرحيق ص ١٤٧، ١٤٨

يَثْبُت له أن البضاعة جيدة وأن تأخذ بمجامع قلبه.. ويبقى الشراء مسألة أخرى.

ولنتأمل صورة من ذلك، والعارض يلاحق الأفراد والجماعات قائماً بأمر ربه سبحانه في العرض..

جاء في بعض كتب السيرة:

«ثم مر رسول صلى الله عليه وسلم بعقبة مِنى، فسمع أصوات رجال يتكلمون، فعمدهم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب يثرب كلهم من الخزرج وهم:

(١) ـ أسعد بن زرارة (من بني النجار)

(٢) ـ عون بن الحارث بن رفاعة، ابن عفراء (من بني النجار)

(٣) ـ رافع بن مالك بن العجلان (من بني زريق)

(٤) ـ قطبة بن عامر بن حديدة (من بني سلمة)

(٥) ـ عقبة بن عامر بن نابي (من بني حرام بن كعب)

(٦) ـ جابر بن عبد الله بن رئاب (من بني عبيد بن غنم)

وكان من سعادة أهل يثرب أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبياً من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج فنتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: من أنتم؟

قالوا: نفر من الخزرج.

قال: من موالي اليهود؟ أي حلفائهم.

قالوا: نعم.

قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟

قالوا: بلى.

فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام ودعوته ودعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم: إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأسرعوا إلى إجابة دعوته وأسلموا.

وكانوا من عقلاء يثرب، أنهكتهم الحرب الأهلية التي مضت من قريب، والتي لا يزال لهيبها مستعراً، فأملوا أن تكون دعوته سبباً لوضع الحرب، فقالوا إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ولما رجع هؤلاء إلى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٢٣].

ولربما كان العرض طلباً للحماية كما جاء في الفصول لابن كثير:

«وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل أيام الموسم ويقول: مَن رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلّغ رسالة ربي؟ فإن قريشا قد منعوني أن ابلغ رسالة ربي»، هذا وعمه أبو لهب ـ لعنه الله ـ وراءه يقول للناس: لا تسمعوا منه فإنه كذاب. فكان أحياء العرب يتحامونه لِما يسمعون من قريش عنه: إنه كاذب، إنه ساحر، إنه

٢٣ ـ الرحيق ص ١٥٣، ١٥٤

كاهن، إنه شاعر، أكاذيب يقذفونه بها من تلقاء أنفسهم، فيصغي إليهم من لا تمييز له من الأحياء، وأما الأَلِبَّاء إذا سمعوا كلامه وتفهموه شهدوا بأن ما يقوله حق وأنهم مفترون عليه، فيسلمون.»[٢٤].

إننا هنا مضطرون لإعادة فتح ملف التفريق بين الدعوة والفكرة، ولكي نعرف مدى انسجام الجماعات الإسلامية الحديثة مع السيرة النبوية الشريفة لابد أن نقوم بإسقاط بسيط، والإسقاط هنا يوصلنا دائماً إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عاملاً لدعوة، بينما الجماعات الإسلامية تعمل لفكرة، والدعوة تتسع في غير دائرتها، أي أن العمل فيها منصب على المشركين والكفار والذين لم يؤمنوا بها بعد، أما ما يمكن أن نسميه فيها فكرة فهو جزؤها التربوي التعهدي لمن آمن بها ودخل فيها، لذلك نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل على جبهتين:

١ ـ جبهة استقطاب أتباع جدد (الدعوة).

٢ ـ وجبهة تربية ومتابعة الذين دخلوا في الدين الإسلامي (الفكرة) لأن المقصود كان الوصول بهؤلاء المسلمين عبر هذه التربية إلى إقامة عز الإسلام في الأرض.

عند الجماعات الإسلامية اليوم هناك فقط الفكرة، ولا يوجد شيء اسمه دعوة، والدليل على ذلك أن الجماعات الإسلامية لا تخرج من مجالها الإسلامي ولا تستهدف غير المسلمين جمْعاً ونظْماً، وتأطيراً، وتجنيداً.. والجماعات والجمعيات والأحزاب الإسلامية دليل على ذلك، وكل جماعة موجودة في قطر ما إسلامي، كل همها ينصب

٢٤ ـ الفصول ص ١٠٧، ١٠٨

على ذلك القطر، وكل مجالها المسلمون الموجودون في ذلك القطر.. فلئن كانوا مسلمين فإن كلمة الدعوة «تنتفي إزاءهم». أما المجال الحقيقي للدعوة لغير المسلمين فيبقى منعدماً عند هذه الجماعات، ويبقى عرضها للإسلام منعدماً رغم إمكانيته، فاليوم هناك وسائل عدة لعرض الإسلام كدعوة وليس كفكرة على أناس في الغرب من سياسيين ومثقفين وأفراد عاديين، بأسلوب حميمي مقنع يقدم الإسلام كرحمة مهداة وكنصيحة خير.

إن وسائل الاتصال الحديث تسهّل هذه العملية، وبإمكان ضغطة زر واحدة على الإنترنت أن توصل رسالة دعوة إلى ألف شخص في لحظة.. لكن الجماعات الإسلامية آثرت أن لا يكون هذا مجالها، بل إن كل كتبها بالعربية، وترجمة كتاب إلى لغة أخرى وإيصاله إلى أناس ليسوا مسلمين في الغرب مثلاً، أمر لا يتم التفكير فيه البتة.

إذن عن أي اتّباع للسيرة يتحدث هؤلاء؟!!

ألم يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (الإسلام) على الكفار في كل مكان؟!!

فهل عرضوا هم تعاليم دينهم الرحيمة على البشر التعساء في العالم من الذين يبحثون عن دفقة رحمة تقيهم التعاسة والانتحار..؟!!

ثم أن رسول الله صلى الله عله وسلم، بلغ به الأمر لحد مكاتبة الملوك والزعماء عارضاً عليهم الإسلام.. فقد أرسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بكتاب، فأسلم رضي الله عنه ونوّر ضريحه، ودحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل عظيم الروم،

فقارب وكاد ولم يسلم، وقال بعضهم: بل أسلم، وقد روى سنيد بن داود في تفسيره حديثا مرسلا فيه ما يدل على إسلامه وروى أبو عبيدة في كتاب «الأموال» حديثا مرسلا أيضا فيه تصريح بعدم إسلامه.

وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، فتكبر ومزق كتابه صلى الله عليه وسلم فمزقه الله وممالكه كل ممزق بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بذلك.

وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ومصر، فقارب ولم يذكر له إسلام، وبعث الهدايا إليه صلى الله عليه وسلم والتحف.

وعمرو بن العاص إلى ملكي عمان فأسلما، وخليا بين عمرو والصدقة والحكم بين الناس، رضي لله عنهما.

وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة.

وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن شمر الغساني ملك البلقاء من الشام.

والمهاجر بن أبى أمية المخزومي إلى الحارث الحميري.

والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين فأسلم.

أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل كليهما إلى أهل اليمن فأسلم عامة ملوكهم وسوقتهم»[٢٥].

٢٥ ـ الفصول ص ٢٦٠، ٢٦١

فهل تتبنى الجماعات الإسلامية اليوم فكرة مراسلة الآخرين لإيصال نور الله إليهم وعرضه عليهم، أم أن أولوياتها في غير هذا..؟!!

إن التعصب للجماعة يجعل زعماء هذه الجماعات يفرحون بشخص مسلم سلفاً يقتنع بفكرتهم وينضم إلى حزبهم، أكثر من فرحهم بشخص يسلم في أمريكا، ويبقى خارج جماعتهم.. لذلك تبقى الفكرة عندهم أولى من الدعوة.. ويبقون خارج إطار السيرة النبوية الشريفة.

obeikandl.com